تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية ISSN 3135-4564
https://alqurtas.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/qjhar/index
مجلة القرطاس
مجلة علمية محكمة نصف سنوية

# الأدلة العقليّة من القـــــرآن الكريم في الرد على منكري البعث

أ. أماني شعبان عبد الله بشـــــــــون *
طالبة بمرحلة الدكتوراه، بكليّة الشريعة- جامعة الزاوية.
a.bashoun@zu.edu.ly
**0009-0004-3678-6145**
أ.فاطمة محمد أحمد النّعاس، طالبة بمرحلة الدكتوراه، بكليّة الشريعة – جامعة الزاوية.
**fatimanaas.fn2@gmail.com**
**0009-0009-6061-9909**
**تاريخ الارسال 2026/7/10م تاريخ القبول 2026/8/25م**

Rational Evidences From the Holy Quran in Refuting the Deniers of Resurrection.

Ms. Amani Shaaban Abdullah Bashoun, PhD Candidate, Faculty of Sharia, Al-Zawiya University.
Ms. Fatima Mohamed Ahmed Al-Naas, PhD Candidate, Faculty of Sharia, Al-Zawiya University.

Abstract:
This research examines the Quranic methodology in proving the doctrine of resurrection and refuting its deniers. It demonstrates that the Holy Quran did not merely state the unseen, but also established rational arguments that appeal to both innate human nature and reason. The introduction presents the concept of resurrection, the Quran's emphasis on it, and the role of reason in Quranic argumentation. The first section addresses the evidence for the possibility of resurrection, including arguments based on the initial creation, the revival of the earth after its death, the creation of the heavens and the earth, and the absolute power of God Almighty. The second section


حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2026. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

presents the arguments of those who deny resurrection and then explains the Quranic rational methodology in refuting and responding to these.

## الملخـــــــص:

يتناول البحث المنهج القرآني في إثبات عقيدة البعث والرّدّ على منكريها، مبيّناً أنّ القرآن الكريم لم يكتفِ بتقرير الخبر الغيبي، بل أقام أدلّة عقليّة تُخاطب الفطرة والعقل، ويعرض التمهيد مفهوم البعث، واهتمام القرآن به، ومكانة العقل في الاستدلال القرآني، وتناول المبحث الأوّل أدلّة إمكان البعث، وتشمل الاستدلال بالنشأة الأولى، وإحياء الأرض بعد موتها، والاستدلال بخلق السماوات والأرض، وبالقدرة المطلقة لله – عزّ وجلّ -، أمّا المبحث الثاني فيتناول عرض شبه منكري البعث، ثمّ يبيّن المنهج العقلي القرآني في إبطال هذه الشبه والردّ عليها.

## المقدمـــــــــة :

الحمد لله الذي فطر الخلق على فطرته، وجعل في العقل السليم آية تدلّ عليه، وشرّف الإنسان بالتكليف ووعده بالجزاء، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين، وجعل معجزته الخالدة كتاباً تتجلى فيه آيات الله في الآفاق والأنفس، نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد:

فإنّ قضيّة البعث من أصول الإيمان بالأمور الغيبيّة التي اشتّد حولها النّزاع في جلّ العصور، وهي أحد مرتكزات الإيمان باليوم الآخر، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بمبدأ العدالة الإلهيّة والغاية من الخلق، ولم تكن هذه القضيّة في الفكر الإنساني مجرد مسألة غيبية فقط، بل شكلت – ولا تزال – ميداناً خصباً للجدل العقلي والفلسفي، حيث تعاقبت على إنكارها شبهات قديمة متجدّدة، استندت معظمها إلى تصوّرات ماديّة ضيّقة، ترى في إعادة الحياة بعد الموت ضرباً من المحال، إمّا استبعاداً عقليّا لمجرد الفكرة، أو تعذّرا ماديّاً لإعادة تركيب الأجساد بعد فنائها.

وفي مواجهة هذه الشبهات، يأتي القرآن الكريم بمنهج فريد في الاحتجاج، لا يقف عند حدود التسليم بالخبر الغيبي فقط، بل يتجاوزه إلى مخاطبة العقل الإنساني بالأدلة العقلية الدامغة الي تنطلق من مقدمات فطريّة ومشاهدات كونيّة ونظر في النفس، لتصل بالعقل إلى التسليم المنطقي الحتمي بحتميّة البعث، وإمكانيته وضرورته.

**أهداف البحث:**

يهدف هذا البحث إلى استقراء الآيات التي تناولت شبهات منكري البعث، وتحليل منهج القرآن في تفنيدها، وبيان كيف انتقل الخطاب الإلهي بالإنسان من دائرة الاستبعاد والاستغراب إلى حيز الإذعان العقلي والضرورة المنطقيّة.

الأسئلة التي يجيب عليها البحث:

- ما الشبهات الرئيسيّة التي أثارها منكرو البعث كما صوّرها القرآن الكريم؟
- ما المنهجيّة التي اعتمد عليها القرآن في الردّ على هذه الشبهات؟
- كيف وظّف القرآن الأدلّة العقليّة في إثبات إمكانيّة البعث ووقوعه؟
- كيف استخدم القرآن أدلة الخلق الأول والأنفس والآفاق كبراهين حسيّة على قدرة الله على الإعادة؟

**أهميّة البحث:**

تكمن أهميّة هذا البحث في كونه يكشف عن المنهج القرآني المتكامل في التعامل مع أحد أبرز الشبهات المتعلقة بالإيمان بالغيب – ألا وهي قضيّة الإيمان بالبعث – وبيان الآلية التي عالج بها القرآن شبه منكريه.

**الدراسات السابقة:**

**1** ـ " البعث وأدلته العقلية في القرآن الكريم" إعداد الباحثة: هند بنت دخيل الله بن وصل

نشر بمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ، جامعة الأزهر، المجلد السابع، العدد الثالث، 2017م تناولت هذه الدراسة موضوع البعث وأدلته العقلية في القرآن لكريم من منظور عقدي، وهدفت إلى بيان مكانة عقيدة البعث وأهميتها، وإبراز الأدلة التي قرر بها القرآن الكريم ثبوتها ، وقد جاءت الدراسة في مقدمة ومبحثين؛ تناول المبحث الأول عقيدة البعث وموقف الناس منها، فبيّن أهمية الإيمان بالبعث، والأدلة عليه من الكتاب والسنة، ثم عرض مواقف الناس منه. أما المبحث الثاني فخُصص لبيان الأدلة العقلية على البعث في القرآن الكريم، فبدأت الباحثة ببيان مكانة الدليل العقلي في القرآن الكريم، ثم عرضت الأدلة العقلية التي ساقها القرآن لإثبات البعث .

وتخلص الدراسة إلى أن الإيمان بالبعث من أصول الاعتقاد التي جاءت النصوص الشرعية بتقريرها، وأن من حكمته أن الله تعالى لم يخلق الخلق عبثًا، وإنما خلقهم لعبادته وطاعته، ثم يبعثهم يوم القيامة لمحاسبتهم ومجازاتهم على أعمالهم.

ويختلف البحث الحالي عن هذه الدراسة في أن الدراسة السابقة تناولت البعث من خلال بيان أهميته وموقف الناس منه، ثم ركزت على الأدلة العقلية التي ساقها القرآن

الكريم لإثبات عقيدة البعث، مع بيان مكانة الدليل العقلي في القرآن الكريم، فجعلت مدار البحث هو استقراء الأدلة العقلية على البعث وبيان دلالتها.

أما البحث الحالي فيتجه إلى دراسة المنهج العقلي الذي اتبعه القرآن الكريم في الرد على منكري البعث، وذلك من خلال الوقوف على الشبهات التي أثارها المنكرون حول البعث، وبيان كيفية معالجة القرآن الكريم لهذه الشبهات وإبطالها بالحجج العقلية، والكشف عن تنوع الأساليب العقلية التي اعتمدها القرآن في محاورة المنكرين وإقامة الحجة عليهم. ومن ثم فإن العناية في البحث الحالي لا تنصرف إلى مجرد حصر الأدلة العقلية المثبتة للبعث، وإنما إلى دراسة طريقة توظيف هذه الأدلة في الرد والحجاج وإبطال شبهات المنكرين.

وعليه، تتمثل إضافة البحث الحالي في الجمع بين دراسة الشبهة التي أثارها منكرو البعث، والحجة العقلية القرآنية المقابلة لها، وبيان وجه دلالة الحجة في إبطال الشبهة، بما يكشف عن معالم المنهج العقلي القرآني في معالجة إنكار البعث.

2 ـ "منهج القرآن الكريم في الرد على الشبهات: خصائصه وقواعده"، إعداد الباحثة: د. مي بنت عبد الله بن محمد الهدب (أستاذ مساعد بقسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).

جهة النشر: مجلة علوم الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، العدد (84)، رجب 1442هـ / مارس 2021م، ص ص (192-215).

منهج البحث: اعتمدت الباحثة على المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي التحليلي.

موضوع الدراسة: هدفت هذه الدراسة إلى تأصيل وتقعيد "علم الانتصار" لكتاب الله تعالى، واستنباط القواعد الضابطة التي دل عليها القرآن الكريم في عرض الشبهات والرد عليها، استناداً إلى الاستقراء وآراء أئمة المفسرين.

وتناول المبحث الأول من الدراسة خصائص المنهج القرآني في التعامل مع الشبهات، والتي تمثلت في: شرف المصدر، والشمول، والوضوح، والبلاغة، والثبات. بينما خُصص المبحث الثاني لـ قواعد المنهج القرآني في الرد على الشبهات، وأبرزت الباحثة من خلاله قواعد علمية محددة، مثل: نسبة الشبهة لأصحابها، وذكر أدلة الشبهة ونقضها، ومراعاة المناسبة بين الشبهة وجوابها (كاستعمال التحدي، أو القول بالموجب).

وجه الاختلاف بين هذه الدراسة وموضوع البحث الحالي

على الرغم من التقاء الدراسة الراهنة مع موضوع البحث في استلهام "المنهج القرآني في الرد على الشبهات"، إلا أن البحث الحالي يتمايز عنها ويختلف في عدة جوانب رئيسة:

الدراسة السابقة: تناولت المنهج القرآني وقواعده في الرد على الشبهات بـ عموم وإطلاق، ودون التقيد بباب عقدي محدد، بل شملت شبهات التوحيد، والنبوة والوحي، والقرآن، والبعث كأمثلة لتطبيق القواعد.

البحث الحالي: يركز بصورة خاصة ومكثفة على قضية عقدية محددة، وهي "شبهات منكري البعث"، مما يتيح دراسة تفصيلية عميقة لشبهات هذه الفرقة تحديداً وكيفية تفكيك القرآن الكريم لأدلتهم ودعاويهم.

## مواضيع البحث

**التمهيد:**

تعدّ قضيّة البعث بعد الموت من أعظم القضايا العقديّة التي اعتنى بها القرآن الكريم، وقد شكلت هذه القضيّة محوراً أساسيّاً في دعوة الأنبياء جميعاً، ولما كان إنكار البعث من أبرز شبهات المشركين، سلك القرآن الكريم مسالك متنوعة في الرد عليهم، وقد أشار المفسرون إلى أنّ القرآن لم يواجه منكري البعث بمجرد الإخبار، بل أقام عليهم الحجج والبراهين التي تُبطل شبهتهم وتُثبت إمكان البعث ووقوعه.

أولاً- مفهوم البعث.؛

البعث لغة: من مادة (الباء والعين والثاء ) وهي تدل على الإثارة والإرسال والتحريك[1].

وجاء في الصحاح: ابتعثه بمعنى أرسله، فانبعث، ويُقال: كنت في بعث فلان، أي في الجيش الذي أرسله، وبعثت الناقة أي: أثرتها من مكانها، وبعث الموتى: نشرهم وإحيائهم ليوم البعث. ويُقال انبعث في السير، أي أسرع فيه.[2]

وجاء في تاج العروس:أنّ البعث هو: الإرسال، فيُقال: بعثه، يبعثه، بعثاً، أي أرسله، و يُقال : انْبَعَثَ فُلان ، لشَأْنِه ، إذا ثارَ ومَضَى ذاهِباً لقضاءِ حاجَتِهِ ، وبعث النَّاقَةَ : أَثارَها، فانْبَعَثَتْ : حَلَّ عِقَالَها ، أَو كانَتْ بارِكَةً فهَاجَها، وفي الحديث : ( أَتانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ ، فابْتعَثانِي ) ، أَي أَيْقظانِي من نوْمي .

ويؤول البعث أيضاً بأنّه: إزالةُ ما كان يَحْبِسُ الإنسان عن التَّصَرُّفِ والانْبِعاث، وقد استعمل العرب لفظ البعث على وجهين رئيسين:

الأوّل: الإرْسالُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى﴾الأعراف /103 أي: أَرْسَلْناه .

الثاني: الإحْياءُ من الله للمَوْتى ، ومنه قولُه تعالى :﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ البقرة/56، أي: أَحْيَيْناكُم بعد موتكم. كما يُقال بَعَثَ المَوْتَى : نَشَرَهُم ليومِ البَعْثِ ، وبَعَثَ الله الخَلْقَ يَبْعَثُهُمْ بَعْثاً : نَشَرَهم، ومن أَسْمَاء الله الحسنى الباعِثُ، وهو سبحانه الذي يَبْعَثُ الخَلْقَ من قبورهِمِ يومَ القِيَامَةِ [3].

واصطلاحاً:

عرّفه ابن حزم، فقال: "هو وقت ينقضي فيه بقاء الخلق في الدّنيا فيموت كلّ من فيها، ثمّ يحي الموتى، يحي عظامهم التي في القبور وهي رميم ويعيد الأجسام كما كانت ويردّ إليها الأرواح كما كانت، ويجمع الأولين والآخرين في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة يُحاسب فيه الجنّ والإنس فيوفىّ كل أحد قدر عمله "[4].

وعُرّف بأنّه "إعادة الإنسان روحاً وجسداً كما كان في الدّنيا، وهذه الإعادة تكون بعد العدم التام، ولا يستطيع الإنسان معرفة هذه النشأة الأخرى؛ لأنها تختلف تماماً عن النشأة الأولى"[5].

فالبعث بهذا المعنى لا يقتصر على إعادة الأرواح فقط، بل يشمل إعادة الأجساد وردّ الأرواح إليها، ليقوم النّاس لربّ العالمين.

ثانياً: اهتمام القرآن الكريم بالبعث.

لقد اهتمّ القرآن بالبعث اهتماماً عظيماً حتى عُدّ من أعظم أصول العقيدة التي اعتنى بها القرآن، ولا سيّما في السور المكيّة؛ لأنّ الإيمان من البعث من أهم قضايا الإيمان باليوم الآخر، ويتجلّى اهتمام القرآن بالبعث في عدّة أمور، أهمها:

1- كثرة الآيات الواردة في إثباته.

فيظهر اهتمام القرآن بالبعث من خلال الإكثار من ذكره، وتنوّع الأساليب في الاستدلال على إثباته، قال تعالى:﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ يونس/4، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾الروم/27، وقال – عزّ وجلّ -﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ الحج/6-7 ، وغير ذلك من الآيات.

2- إقامة الأدلّة العقليّة والحسيّة.

لم يكتف القرآن بعرض البعث كخبر غيبي يجب التسليم به فقط، بل أقام عليه البراهين التي تخاطب العقل، ومن ذلك الاستدلال بالنشأة الأولى، والاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها، وهذا ما سنتناوله مفصّلا خلال هذه الدّراسة.

3- ربط السلوك الإنساني بالإيمان بالبعث.

وذلك بعدّه أحد أسس صلاح الأخلاق، فهو الضامن الأكبر لاستقامة السلوك، لاستناده لمبدأ الثواب والعقاب الأخروي، فقد جعل القرآن الإيمان بالبعث باعثاً على الاستقامة والطاعة ، واجتناب المعاصي؛ لأنّ المؤمن يعلم أنّه سيحاسب على أعماله، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ الزلزلة/ 7-8.

4- بيان مشاهد البعث وأحواله.

لقد أفاض القرآن الكريم في تصوير مشاهد البعث وأحواله تصويراً بليغاً، ويهدف هذا التصوير إلى ترسيخ اليقين باليوم الآخر، ويبعث في النفس الخوف من الحساب، والرغبة في الاستعداد له بالعمل الصالح، وقد عرض القرآن هذه المشاهد في عدّة آيات تصوّر جلّ المشاهد، ومن ذلك ما جاء في سورة الزمر، قال تعالى:﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ* وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ* وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾ الزمر/68-70، فهذه الآيات من أجّلّ الآيات التي تصوّر لنا المشهد كامل من النفخ في الصور، إلى الحساب والجزاء، كما جاءت العديد من الآيات التي تظهر جزء من التسلسل الكامل، منها قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ* قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ يس/51-52، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا* وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ الكهف/48-49.

ويدلّ هذا التصوير المتكرر على عناية القرآن بإثبات البعث، وترسيخ الإيمان به، وربط الإنسان بمصيره في الآخرة.

وبهذا يتبيّن أنّ القرآن الكريم أولى عناية عظيمة بالبعث، فجعلها من أهم الموضوعات العقديّة، وأقام الأدلّة المتنوعة على إمكانها ووقوعها، وربط الإيمان بها بإصلاح السلوك وتحقيق العبوديّة لله تعالى.

**ثالثاً ـ مكانة العقل في الاستدلال القرآني:**

يحتلّ العقل في الخطاب القرآني مكانة أصيلة، فلم يأت القرآن لإلغائه، ولا لتقديسه بنحوٍ يجعله مستقلّاً عن الوحي، وإنّما جاء موجها له، وموقظاً له.

فالاستدلال القرآني يقوم على التكامل بين الوحي والعقل، فالوحي يمد العقل بالغايات الكبرى، ويهديه إلى الحق في مسائل الغيب التي يعجز عن إدراك تفاصيلها، والعقل يتدبر آيات الوحي ويتفكر فيها، فيستخرج منها البراهين المؤيدة لما جاء به الشرع، فلا يستقل العقل بإثبات الغيبيّات ابتداءً، ولكنّه يشهد لصدقها ويطمئنّ إليها متى ما تدبّر الأدلّة القرآنيّة التي تقرّبها إلى الفهم.

لم يتّجه الخطاب القرآني في محاجّة منكري البعث والنشور إلى إلزامهم بالتيقن بالخبر الغيبي دون تبصّر، بل رفع من شأن العقل وجعله أداة مركزيّة للتصديق اليقيني بقضايا الغيب الكبرى، كوجود الله ووحدانيته، وحتميّة البعث بعد الموت.

ورغم أنّ الأصل عند أهل السنّة والجماعة أنّ العقل تابع للرسالة ومصدّق لها، ولا يستقلّ بإدراك الغيبيّات تفصيلاً، إلّا أنّ القرآن الكريم لم يعطّل استعمال العقل بل كثيراً ما يحثّه على التدبّر والتفكّر في خلق الكون، قال تعالى:﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران/190، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ البقرة/164.

وفي بيان هذا التكامل المنهجي بين الوحي والعقل يذكر شيخ الإسلام ابن تيميّة أنّ "ما عُلم بصريح العقل لا يُتصوّر أن يعارضه الشرع البتة، بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط"[6]، وعلى هذا الأساس سار القرآن الكريم في مجادلة منكري البعث، فلم يخاطبهم بمجرد التسليم التعبدي، وإنّما ساق لهم من الأدلّة ما يوافق صريح عقولهم لو تدبّروا وأنصفوا، وهذا ما ستتناوله هذه الدّراسة من خلال استقراء أهمّ الأدلّة العقليّة التي ساقها القرآن الكريم في الردّ على منكري البعث، وبيان وجه دلالة كل دليل منها، وطريقة القرآن في عرضه وتقريره.

**المبحث الأوّل ـ الأدلّة العقليّة القرآنيّة الدّالة على إمكان البعث:**

اهتم القرآن الكريم بإقامة البراهين العقليّة الدّالة على إمكانيّة البعث؛ لأنّ جلّ منكريه لم ينكروا قدرة الله مطلقاً، بل استبعدوا إعادة الإنسان بعد أن يصير تراباً وعظاماً، فجاء القرآن الكريم ليزيل هذا الاستبعاد، ويقرّب الصورة للعقول.

وقد تنوعت هذه الأدلّة، ويمكن جمعها فيما يلي:

**المطلب الأوّل- الاستدلال بالنشأة الأولى على إمكان البعث.**

وهذا من أعظم الأدلّة العقليّة في القرآن، وحاصله: أنّ من أنشأ الخلق من العدم ابتداءً، قادرٌ من باب أولى على إعادته بعد أن كان موجوداً، لأنّ الإعادة في العقل أهون من الابتداء. قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ الروم/27، وقال –عزّ وجلّ - :﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ العنكبوت/19.

يقول الرازي في تفسير هذه الآية: "أَيْ أَلَمْ يَعْلَمُوا عِلْمًا ظَاهِرًا وَاضِحًا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ يَخْلُقُهُ مِنْ تُرَابٍ يَجْمَعُهُ فَكَذَلِكَ يَجْمَعُ أَجْزَاءَهُ مِنَ التُّرَابِ يَنْفُخُ فِيهِ رُوحَهُ بَلْ هُوَ أَسْهَلُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْكُمْ، فَإِنَّ مَنْ نَحَتَ حِجَارَاتٍ وَوَضَعَ شَيْئًا بِجَنْبِ شَيْءٍ فَفَرَّقَهُ أَمْرٌ مَا فَإِنَّهُ يَقُولُ وَضْعُهُ شَيْئًا بِجَنْبِ شَيْءٍ فِي هَذِهِ النَّوْبَةِ أَسْهَلُ عَلَيَّ لِأَنَّ الْحِجَارَاتِ مَنْحُوتَةٌ"[7].

وقال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ* وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾ يس/ 77-79.

أي: أولم ير الإنسان أمراً يفيد اليقين التام بوقوع البعث، وهو ابتداء خلقه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ويكبر شيئاً فشيئاً، حتى يكبر ويشيب، و**أن الذي أنشأ الإنسان أول مرة قادر على الإعادة.**[8]:

فهذه الآيات تقرّر أنّ من أنكر البعث ناسٍ لأصل خلقته، فهو يستبعد إعادة وقوع شيء، ولا يستبعد ابتداءه، وهذا تناقض ظاهر.

المطلب الثاني: الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها على إمكانية البعث.

يستدل القرآني بمشهد حسي مشاهد وهو إحياء الأرض بعد موتها بالمطر، فترجع مخضرّة بعد أن كانت ميتة لا حياة فيها، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ**﴾ فصلت/39، وقال تعالى: ﴿ **فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ الروم/50.

فهذا تقريب لتصوّر البعث، فالمعنى أنّ الله الذي يحي الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى،[9] ووجه الاستدلال أنّ إحياء الأرض وإحياء الموتى كلاهما إحياء لمادة هامدة لا حياة فيها، فمن جوّز الأوّل ورآه مشاهدة، لزمه ألاّ يستبعد الثاني.

المطلب الثالث: الاستدلال بخلق السماوات والأرض على إمكانيّة البعث (الاستدلال بالعظيم على الصغير):

يسوق القرآن مقارنة بين خلق السماوات والأرض على إحياء الموتى، - وهذا من باب التنبيه بالأعلى على الأدنى كقوله تعالى:﴿**وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ**﴾ آل عمران/75 – فخلق السماوات والأرض أشدّ عظمة من خلق الإنسان علاوة على إعادة إحياءه، قال تعالى: ﴿**لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ غافر/57، قال الرازي: "لخلق**السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَالْقَادِرُ عَلَى الْأَكْبَرِ قَادِرٌ عَلَى الْأَصْغَرِ لَا مَحَالَةَ**" وقال – عزّ وجلّ- : ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ الأحقاف/33.

**فهذا "استدلال منه تعالى على الإعادة بعد الموت بما هو أبلغ منها، وهو أنه الذي خلق السماوات والأرض على عظمهما وسعتهما وإتقان خلقهما من دون أن يكترث بذلك ولم يعي بخلقهن فكيف تعجزه إعادتكم بعد موتكم وهو على كل شيء قدير؟"[10]**

**وهذا الاستفهام في الآية الثانية استفهام استنكاري توبيخي، يُراد به تقرير أمر بديهي وهو: أنّ القدرة التي أبدعت خلق السماوات و الأرض بسعتهما وبعظمة خلقهما وبإتقانهما، لا يُمكن أن تعجز عن إحياء الموتى.**

المطلب الرابع: الاستدلال بقدرة الله المطلقة.

إنّ المتدبّر للأدلّة السابقة يجد اختلافاً بيّناً بين هذا الاستدلال وسابقيه، فهو لا يقيس البعث على شيء آخر( كخلق الإنسان أول مرة أو إحياء الأرض بعد موتها أو خلق السماوات والأرض)، بل ينقل الاستدلال من مقارنة المخلوقات ببعضها إلى طبيعة القدرة الإلهية نفسها.

فقدرة الله ليست قدرة تدريجية تحتاج زمناً وأسباباً، بل هي إرادة مطلقة، قال تعالى:﴿**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ النحل/40، ويدخل في هذه الإرادة المطلقة بدأ الخلق، وإعادة الخلق (البعث)، بل هو أهون عليه.

ويزيد الرازي هذا الاستدلال عمقاً في تفسيره لهذه الآية، حاصله أنّ إيجاد الله للأشياء لا يتوقف على" سبق **مَادَّةٍ وَلَا مُدَّةٍ وَلَا آلَةٍ، وَهُوَ تَعَالَى إِنَّمَا يُكَوِّنُهَا بِمَحْضِ**

**قُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَلَيْسَ لِقُدْرَتِهِ دَافِعٌ وَلَا لِمَشِيئَتِهِ مَانِعٌ فَعَبَّرَ تَعَالَى عَنْ هَذَا النَّفَاذِ الْخَالِي عَنِ الْمُعَارِضِ بِقَوْلِهِ: إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَكَمَا أَنَّهُ تَعَالَى قَدَرَ عَلَى الْإِيجَادِ فِي الِابْتِدَاءِ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَيْهِ فِي الْإِعَادَةِ، فَثَبَتَ بِهَذَيْنَ الدَّلِيلَيْنِ الْقَاطِعَيْنِ أَنَّ الْقَوْلَ بِالْحَشْرِ وَالنَّشْرِ والبعث والقيامة حق وصدق"[11].**

يتضح مما سبق من حجج عقليّة قائمة على إثبات إمكان البعث، انطلاقاً من دلالة الخلق الأول، وإحياء الأرض الميتة، وخلق السماوات والأرض، وعظيم القدرة الإلهيّة، أنّ فكرة البعث ليست مستحيلة على العقل، بل هي واقعة في حكم المنطق السليم.

وبعد أن تقرّر هذا الأصل، وتبيّن أنّ العقل متى تجرّد عن إتّباع الهوى لا يرفض الإعادة، بل يشهد لها بالإمكان والضرورة، تبقى مهمّة تفنيد العوائق الذهنيّة التي أثارها المنكرون، والتي سنتناولها في المبحث الثاني.

المبحث الثاني: الحجج العقلية القرآنية في إبطال شبهات منكري البعث.

بعد أن بين القرآن الكريم إمكان البعث بإقامة الأدلة العقلية الدالة على قدرة الله - تعالى - على الإعادة، انتقل إلى نقض الشبهات التي أثارها منكرو البعث، وذلك بمواجهة الاعتراضات بالحجة والبرهان، وكشف ما تنطوي عليه من تناقض ومغالطات، معتمدا في ذلك على أساليب عقلية متنوعة، ترد شبهاتهم إلى أصولها الفاسدة .

وعلى ذلك يتناول هذا المبحث أبرز الحجج العقلية التي وظفها القرآن الكريم، في إبطال شبهات منكري البعث، وبيان ما تتسم به من قوة في الإقناع وإحكام في الاستدلال.

المطلب الأول: إبطال شبهة تفرق الأجساد وتحللها.

من أبرز الشبهات التي أثارها منكرو البعث استبعادهم إعادة الإنسان بعد موته وتفرق أجزائه في الأرض، فظنوا أن تحلل الجسد وضياع أجزائه يمنع إمكان إعادته، وقد واجه القرآن هذه الشبهة بحجج عقلية محكمة، أبرزها الاستدلال بالخلق الأول، وبيان إحاطة علم الله تعالى بجميع أجزاء الخلق، بما يقطع استبعاد الإعادة ويكشف فساد قياسهم لقدرة الخالق على قدرة المخلوقين.

**أولا- عرض الشبهة :**

اعتمد منكرو البعث في إنكارهم على شبهة عقلية مقادها أن الإنسان إذا مات وتفرقت أجزاء جسده، واختلطت بعناصر الأرض وتحللت، فإن إعادته إلى الحياة

تصبح مستحيلة، وقد بنوا إنكارهم هذا على أساس قياسهم لقدرة الله تعالى بقدرة المخلوقين، فاستبعدوا إمكان جمع الأجزاء المتفرقة وإعادة تركيبها بعد أن صارت ترابا.

وقد صور القرآن الكريم هذه الشبهة في مواضع متعددة، من ذلك قوله تعالى:﴿ **وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ**﴾ السجدة/10، فالمراد بالضلال هنا: الغياب، وقد فسر الطبري قوله تعالى:﴿ ضللنا في الأرض﴾ بمعنى إذا هلكت أجسادنا في الأرض وصرنا ترابا لا يتميز بعضنا من بعض، وهذا المعنى الذي عليه جمهور المفسرين[12]،أن استبعاد البعث بعد فناء الأجساد واختلاطها بالتراب[13] .

كما صور القرآن هذه الشبهة تصويرا عمليا في قوله تعالى: ﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم﴾ يس/7 ، والرميم: البالي يقال: رمَ العظم وأرمَ إذا بلي، وقد نزلت هذه الآية في سياق احتجاج أحد المشركين بعظم قد بلي، يستبعد إحياءه بعد أن صار رميما، فجعل من فساد العظم وتحلله دليلا في زعمه على استحالة البعث، مع غفلته عن قدرة الله.

وتكرر مضمون هذه الشبهة في مواضع أخرى، منها قوله تعالى: ﴿ أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ الإسراء/49، وقوله تعالى: ﴿ أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد ﴾ ق/3 وكل هذه الآيات تبين أن استبعادهم للبعث بعد الموت كان مبنيا على النظر في التغيرات التي تطرأ على الجسد بعد الموت، دون النظر إلى كمال قدرة الله تعالى .

**ثانيا- الحجج العقلية القرآنية في إبطال الشبهة:**

**بعد أن** كشف القرآن الكريم حقيقة الشبهة التي اعتمد عليها منكرو البعث، انتقل إلى إبطالها بمنهج استدلالي محكم، لم يقم على مجرد تقرير البعث، وإنما اعتمد على مخاطبة العقل للوصول إلى النتيجة اللازمة، وهي إمكان إعادة الخلق بعد الموت.

**الحجة الأولى - الاستدلال بالخلق الأول على إمكان الإعادة:**

يعد الاستدلال بالخلق الأول من أقوى الحجج العقلية التي أقامها القرآن الكريم، في إبطال شبهة تفرق الأجساد و تحللها، إذ يشير إلى أن القدرة التي أوجدت الإنسان ابتداء من العدم لا يعجزها أن تعيده بعد أن تتفرق أجزاءه، قال تعالى: ﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾ يس/78 – 79.

وقد جاء الرد القرآني مبنيا على حجة عقلية واضحة، وهي أن الإعادة لا تكون أعظم من الابتداء؛ فمن قدر على إيجاد الإنسان من العدم كان قادرا على إعادته بعد وجود أصله، وإن تفرقت أجزاؤه أو تحللت. ولهذا جعل القرآن الإنشاء الأول دليلا قاطعا على إمكان الإعادة[14].

وقد أشار ابن كثير إلى هذا المعنى مبينا أن من بدأ الخلق من غير مثال سابق لا يعجز عن إعادته بعد فنائه[15]، وذهب ابن عاشور إلى أن هذا الاحتجاج من قبيل إلزام الخصم بما يقتضيه العقل؛ لأن الإقرار بالخلق الأول يقتضي الإقرار بإمكان الإعادة، إذ الثانية ليست بأعجب من الأولى[16].

**الحجة الثانية- الاستدلال بإحاطة علم الله - تعالى :**

بعد رد القرآن بالاستدلال بالخلق الأول، أردفه بحجة عقلية أخرى تكمل الأولى وتؤكدها، وهي إحاطة علم الله تعالى بجميع مخلوقاته، قال تعالى: ( وهو بكل خلق عليم) يس 79، وهذا يدل على علم الله بجميع أجزاء خلقه، فلا يخفى عليه موضع شيء منها ، ومن ثم يسهل عليه جمعها وإحياؤها[17]، وقد بين الرازي أن ذكر العلم بعد القدرة جاء لإبطال توهم المنكرين أن اختلاط أجزاء الأجساد يمنع من تمييزها ، فبين سبحانه أن علمه محيط بكل جزء من أجزاء الخلق، فلا يشتبه عليه شيء منها[18]، فاقتران العلم بالقدرة يدل على كمال صفات الله عز وجل .

ومن ذلك يتبين أن القرآن الكريم لم يقتصر على الاستدلال بالخلق الأول ، بل حرص على إزالة أي إشكال قد يثار يتعلق بتفرق الأجساد وذلك بإثبات إحاطة العلم الإلهي بكل ذرة من ذراتها ، فاجتمع في الرد هنا كمال القدرة وكمال العلم .

وعليه فإن شبهة تفرق الأجساد وتحللها لم تكن قائمة على برهان عقلي صحيح، وإنما نشأت من تصور قاصر لقدرة الله تعالى ، وقياسها على قدرة المخلوق المحدودة، وقد أبطل القرآن الكريم هذه الشبهة بحجتين عقليتين متكاملتين؛ أولاهما: الاستدلال بالخلق الأول ، وثانيهما : الاستدلال بإحاطة علم الله تعالى بكل خلقه.

ويكشف ذلك عن دقة المنهج القرآني في محاجة منكري البعث؛ إذ لم يقتصر على تقرير الحقيقة، وإنما واجه الشبهة من أصلها، وأبطل مقدماتها العقلية، ثم أقام الأدلة التي تُلزم المنكر الإقرار بإمكان البعث.

المطلب الثاني: الرد على شبهة (استبعاد البعث لعدم مشاهدته).

**أولاً - عرض الشبهة:**

يقوم أساس هذه الشبهة على أنّ منكري البعث لم يألفوا سوى ما يشاهدونه من تعاقب الحياة والموت في هذه الدّنيا، يموت جيل، ويُولد جيل آخر، فلم يروا ميّتاً عاد إلى

الحياة، فأنكروا كل ما لم تألفه حواسهم، قال تعالى:﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ الجاثية/24.

وتكشف هذه الآية عن مذهب طائفة من منكري البعث عُرفوا (بالدّهريّة)، ومن هم على شاكلتهم من الكفّار، الذين قصروا نظرهم على المشهد الحسّي المتكرر من موت وحياة في هذه الدّنيا، فأنكروا ما وراء ذلك، ونسبوا الفناء إلى الدهر لا إلى خالق مدبّر حكيم، وقد بيّن القرآن الكريم أنّ هذا الحكم لا يستند إلى اليقين، وإنّما هو مجرد ظنّ، كما أخبرت به الآية.[19]

وهذه الطائفة لم ينكروا البعث فقط، بل "جمعوا بين إنكار الإله وبين إنكار البعث والقيامة"[20].

وهم يجعلون من عدم مشاهدة وقوع البعث دليلاً على استحالة وقوعه، وهذا انتقال منطقي خاطئ، حيث أنّ عدم المشاهدة لا تدلّ على استحالة الوقوع.

**ثانياً- الحجج العقليّة في إبطال هذه الشبهة:**

هذه الشبهة ليست شبهة واحدة متجانسة، بل هي في حقيقتها تتركب من عدّة مغالطات، والمنهج القرآني في الردّ عليها يقوم على تفكيكها إلى أصلين، ثمّ نقض كلّ أصل بالآليّة العقليّة المناسبة.

**الحجة الأولى- كشف مغالطة (المعيار الحسي)**

قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ**﴾يس/77، القرآن لا يُقدّم الخلق الأوّل كدليل جديد على البعث، بل يُذكّرهم به ليكشف تناقضهم وقد **"قبح الله عزّ وجلّ إنكارهم البعث تقبيحاً لا ترى أعجب منه وأبلغ ، ودلّ على تمادي كفر الإنسان وإفراطه في جحود النعم"**[21]، فهم قد سلّموا ضمناً بخلقهم الأوّل بأنّهم خُلقوا من نطفة، وهذا خلق من عدم، لم يشهدوه، ومع ذلك لا ينكرونه، فالرّدّ هو: (كيف تُسلّمون بخلقكم الأوّل دون شهود حسّي، ثمّ تجعلون عدم شهودكم حجّة على إنكار الخلق الثاني؟).

وهذا إفحام للخصم بإلزامه بما يُقرّ به، وكشف أنّ معياره الحسّي ليس مطّرداً، بل ينتقض بقضيّة يقرّ بها.

ثمّ أتبع الله - عزّ وجلّ - هذه الآية بقوله: ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ**﴾يس/78، فالنسيان هنا موطن ردّ على هذه الشبهة، فهي هنا آفة نفسيّة وعقليّة بنسيان المعلوم البديهي واستبعاده، فإنكار البعث بحجة عدم المشاهدة ليس بسبب صعوبة في تصديق البعث، وإنّما لأنّه نسي قدرة من أوجده أوّل مرّة

**الحجة الثانية- نقض الدّعوى بتقديم نموذج محسوس .**

فلمّا أنكروا البعث بحجّة عدم مشاهدتهم له بحواسهم قدّم القرآن الكريم نموذجاً محسوساً متكرّرا يشاهدونه ويعيشونه بحواسهم، ليفضح دعواهم بأنّ إعادة الحياة لم تُشاهد قط، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ فصّلت/39.

فرؤية الإنسان لهذا الإحياء للأرض هي نموذج محسوس يقيس عليه الإحياء للبشر، فمن لا يؤمن إلاّ بما يُشاهده، فهذا بعث مشهود أمامه، وإنكاره حينئذٍ مكابرة وإتّباع للهوى.

وبهذا يتبيّن أنّ شبهة استبعاد البعث لعدم مشاهدته لم تقم على أساس عقلي سليم، بل تركبت من مغالطتين نقضهما القرآن كِلتيهما، ويكشف هذا المنهج القرآني عن دقّة بالغة في محاجّة الخصم، تُفسِد عليه سبل الإنكار، فلا يبق له إلّا المكابرة أو الإذعان.

المطلب الثالث: التشكيك في البعث بالسخرية والمطالبة بإحياء الآباء.

**أولا- عرض الشبهة:**

لم يقصر منكرو البعث في اعتراضهم على استبعاد إمكان الإعادة بعد الموت وتفرق الأجساد، بل اتخذ انكارهم للبعث صورا أخرى، من بينها أسلوب السخرية والاستهزاء، والمطالبة بإحياء من مات من الآباء والأجداد على سبيل التعجيز، والاحتجاج بعدم وقوع ذلك.

وقد حكى القرآن الكريم شيئا من هذه المواقف، مبينا ما اتسم به خطاب المنكرين من استبعاد للبعث واستخفاف بأمره، ومن صور ذلك، قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا * أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا﴾ الإسراء:49 - 51

فظاهر السياق أن استبعادهم للبعث لم يكن قائما على برهان يمنع وقوعه ، وإنما اتخذوا من الاستبعاد وسيلة للسخرية والتعنت، حتى قابلوا الجواب القرآني بالإعراض والاستخفاف[22], كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ فَسَيُنغِضُونَ إِلَيك رُءُوسَهُم ﴾ أي يحركونها على سبيل التكذيب والاستبعاد[23]،ومن صور هذا الموقف كذلك قوله تعالى:﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ* قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ* لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ المؤمنون/81-83، وقوله

تعالى:﴿وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ* أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ* أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ* قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ الصافات/15-18، وقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الدخان/36، وتكشف هذه الآيات عن موقف منكري البعث القائم على السخريّة والاستهزاء بالوعد الإلهي، إذ زعموا أنّ البعث من أساطير الأولين، وطالبوا بإحياء آبائهم على سبيل التعجيز والإنكار، لا رغبة منهم في تيقن الحق، وقد عرض القرآن هذه الشبهة كما صدرت عنهم، مبرزاً ما انطوت عليه من عناد واستكبار واستهزاء،

**ثانيا- الحجج العقلية في إبطال هذه الشبهة :**

واجه القرآن الكريم تشكيك منكري البعث ومطالبتهم بإحياء آبائهم بإبطال الأساس الذي قام عليه استبعادهم، فلم يجعل عدم رؤيتهم للبعث واقعًا في حياتهم الدنيا دليلًا على استحالته، كما لم يستجب لمطالبتهم بإحضار آبائهم بوصفها شرطًا لإثبات صدق الوعد بالبعث، بل نقلهم من هذا الأسلوب الجدلي القائم على التعنت والسخرية إلى النظر في الأدلة الدالة على قدرة الله تعالى، وبيّن أن عدم وقوع البعث في الدنيا لا يدل على استحالته، وإنما له وقت مقدر يجري فيه وعد الله تعالى ووعيده، ويتضح ذلك من خلال جملة من الحجج والردود القرآنية.

الحجة الأولى: إبطال الملازمة بين عدم المشاهدة واستحالة البعث

في قوله تعالى: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ * فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الدخان: 35-36].

فمطالبتهم بإحياء الآباء تكشف عن تصور فاسد، وهو أن صدق البعث لا يثبت إلا بمشاهدة وقوعه في الحال، والقرآن يبطل هذه الملازمة؛ إذ إن عدم وقوع الأمر في الوقت الذي يطالب به المنكر لا يستلزم استحالته، وإنما البعث مرتبط بالوقت الذي حدده الله تعالى.

وهنا تظهر دقة الحجاج القرآني: فالمنكر لم يقدم دليلًا على استحالة البعث، وإنما حوّل غياب المشاهدة إلى دليل على عدم الوقوع، وهو استدلال لا يلزم منه ما ذهب إليه.

وقد ذكر القرطبي في تفسير هذه الآية : " قِيلَ: إِنَّ قَائِلَ هَذَا مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ أَبُو جَهْلٍ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي قَوْلِكَ فَابْعَثْ لَنَا رَجُلَيْنِ مِنْ آبَائِنَا، أَحَدُهُمَا- قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلًا صَادِقًا، لِنَسْأَلَهُ عَمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ. وَهَذَا الْقَوْلُ مِنْ أَبِي جَهْلٍ مِنْ أَضْعَفِ الشُّبُهَاتِ، لِأَنَّ الْإِعَادَةَ إِنَّمَا هِيَ لِلْجَزَاءِ لَا لِلتَّكْلِيفِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: إِنْ

كُنْتَ صَادِقًا فِي إِعَادَتِهِمْ لِلْجَزَاءِ فَأَعِدْهُمْ لِلتَّكْلِيفِ. وَهُوَ كَقَوْلِ قَائِلٍ: لَوْ قَالَ إِنْ كَانَ يَنْشَأُ بَعْدَنَا قَوْمٌ مِنَ الْأَبْنَاءِ، فَلِمَ لَا يَرْجِعُ مَنْ مَضَى مِنَ الْآبَاءِ"[24].

الحجة الثانية: تأكيد وقوع البعث وإبطال السخرية منه.

لما كان منكرو البعث قد قابلوا خبر الإعادة بالسخرية والاستهزاء، واتخذوا من السؤال عن البعث وسيلة للتشكيك فيه، جاء القرآن الكريم بتقرير وقوعه تقريرا جازما، مبطلا بذلك ما اتخذوه من السخرية وسيلة لنقض الحقيقة.

قال تعالى:﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ* أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ* قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ [الصافات: 16-18].

فجاء الجواب القرآني حاسمًا: ﴿قُلْ نَعَمْ﴾، ثم أتبع ذلك بقوله: ﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ أَيْ: صَاغِرُونَ أَذِلَّاءُ، لِأَنَّهُمْ إِذَا رَأَوْا وُقُوعَ مَا أَنْكَرُوهُ فَلَا مَحَالَةَ يَذِلُّونَ وَقِيلَ: أَيْ سَتَقُومُ الْقِيَامَةُ وَإِنْ كَرِهْتُمْ، فَهَذَا أَمْرٌ وَاقِعٌ عَلَى رَغْمِكُمْ وَإِنْ أَنْكَرْتُمُوهُ الْيَوْمَ بِزَعْمِكُمْ."[25]أي أن مطالبتهم بإحضار الآباء لم تكن حجة علمية، وإنما كانت من قبيل التعنت والاستهزاء، فجاء الرد بإثبات الحقيقة ونقض موقفهم.

ويتضح من هذا الأسلوب أن القرآن الكريم لم يتعامل مع السخرية باعتبارها حجة تستوجب مناقشة مستقلة، وإنما كشف عن ضعفها بإعادة القضية إلى حقيقتها؛ فالبعث أمر ثابت، وإنكاره لا يغير من ثبوته، والسخرية منه لا تقوم مقام البرهان على استحالته.

## الخاتمة:

الحمد لله الذي يسّر لنا الوصول إلى خاتمة هذا البحث، والذي وصلنا فيه إلى نتائج أهمها:

- أنّ القرآن الكريم لم يكتف بتقرير عقيدة البعث، بل ساق لها منظومة متكاملة من الأدلّة العقليّة.
- أنّ القرآن أولى عناية كبيرة بعرض شبهات منكري البعث، وتفنيدها والرّدّ عليها.
- أنّ المنهج العقلي القرآني في إثبات البعث يقوم على بناء إيماني متكامل، أساسه إيقاظ الفطرة، وإحياء البداهة العقليّة، عبر مسالك متنوعة من خلال الاستدلال بالآتي: الخلق الأوّل، وإحياء الأرض الميتة، وخلق السماوات والأرض، والقدرة الإلهيّة المطلقة.
- أنّ القرآن في ردوده على شبهات المنكرين لا يكتفي بسرد الأدلّة، بل يُفحم الخصم من خلال كشف تناقضه الداخلي، وإلزامه بمقدّماته التي يُقرّ بها، كما في نقض شبهة استبعاد البعث لعدم مشاهدته، بتذكيرهم بخلقهم الأوّل الذي لم يشهدوه.

- أنّ المنهج القرآني ينتقل بالمحّاجّة من مستوى (استحالة الكيفيّة) إلى (حقيقة المشيئة الإلهيّة)، ومؤكداً أنّ الفعل الإلهي (كن فيكون) لا تحدّه قوانين المادّة التي يألفها البشر.
- أنّ أصل مشكلة المنكرين لا يكمن في نقصان الأدلّة، بل في آفة منهجيّة ونفسيّة، أبرزها: القياس الخاطئ للغائب على الشاهد المحدود، وعدم استحضار أنّ الله يقول للشيء كن فيكون.
-

**بيان تضارب المصالـــح:**

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

## الهوامش:

[1]- ينظر: معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب، د.ط، 1423 هـ = 2002م، 251/1.

[2]- ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط.4، 1407 هـ - 1987 م، 273/1.

[3]- ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ،أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي،تحقيق: جموعة من المحققين، دار الهداية، د.ط، د.ت،5/ 168-169 .

[4]- المحلّى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (الظاهري)، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، دار الفكر- بيروت، د.ط، د.ت، 35/1.

[5]- العقائد الإسلاميّة، سيّد سابق، دار الكتاب العربي- بيروت، د.ط، د.ت، ص 269.

[6]- درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيميّة الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: د.محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، ط.2، 1991م، 147/1.

[7]- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط.3، 1420 هـ، 40/25.

[8] - ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي،تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط.1، 1420هـ -2000 م، ص 699-700.

[9] - ينظر: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، د.ط، 1984 هـ، 124/21.

[10] - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، للسعدي، ص 783.

[11] - مفاتيح الغيب، للرازي، 207/20.

[12]-ينظر : جامع البيان ، ابن جرير الطبري ،602/18.
[13]- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 218/21.
[14] -ينظر: مفاتيح الغيب ، للرازي ، 26 /306.
[15]- ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط.2، 1420هـ - 1999 م، 6 /529.
[16] -ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور،75/23.
[17]- جامع البيان، الطبري،488/19 .
[18] ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي ، 26 /309.
[19] - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 268/7.
[20] - مفاتيح الغيب، للرازي، 678/27.
[21]-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط.3، 1407 هـ، 29/4.
[22]- ينظر: جامع البيان ، الطبري، 621/14.
[23] -ينظر : مفاتيح الغيب ، للرازي ، 353/20.
[24] -الجامع لأحكام القرآن / القرطبي ، 144/16.
[25] -المصدر نفسه ،72/15.